التوازي التركيبي في البيان والتبيين للجاحظ

دراســة لغويــة

إعداد الدكتورة

فاطمة بنت عبد العزيز العثمان

الأستاذ المساعد في قسم النحو والصرف وفقه اللغة

كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

التوازي التركيبي في البيان والتبيين للجاحظ دراسة لغوية

فاطمة بنت عبد العزيز العثمان

قسم النحو والصرف وفقه اللغة، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الإسلامية.

البريد الإلكتروني: Alothman11@hotmail. com

الملخـــص:

يعرض البحث لصـــور التوازي التركيبي في البيان والتبيين للجاحظ، بغرض الوقوف على حضـــور الموروث اللغوي في الدراســـات المعاصـــرة، وإظهار أثر التوازي التركيبي وما فيه من تآلف المبنى مع المعنى في إحداث التأثير التواصـلي، وقد اتّبع البحث الوصـف والتحليل لأمثلة واردة في مادة الدراسـة، وجاءت مصـنفة وفق نوع الجمل: التوازي في الجمل الاسـمية، والتوازي في الجمل الفعلية، والتوازي في الجمل الشـرطية، ومُهد لها بشـرح مفهوم التوازي التركيبي، وذِكر المصـطلحات المصـاحبة له، ثم بيان مســتويات التوازي وأشــكاله، والتفاتات الجاحظ في محيط التوازي التركيبي على المســتوى النظري، وقد توصـلت الدراسـة إلى ورود التوازي التركيبي في البيان والتبيين في النصـوص التي أنشـأها الجاحظ، وفي النصـوص المختارة، وجاءت متنوعة من حيث: الطول والقصـر، والنوع الجملي(جمل اســمية، وفعلية وشــرطية)، وجمل بســيطة ومركبة، كما جاء التوازي بالاتفاق تارة وبالاختلاف تارة أخرى، وقد برز نظم الكلمات في تقســيم جملي يحقق تواصــلية مؤثرة بالتنغيم الموســيقي والتعميق الدلالي.

الكلمات المفتاحية: التوازي، التوازي التركيبي، البنى المتشـــابهـة، البنى المتغـايرة، دالات التوازي، التأثير التواصلي.

Parallel Structures of Declaration and Demonstration for Al- Jahiz A Linguistic Study

By: Fatima Abdul- Aziz Al- Othman
Department of Syntax, Morphology and Philology
Faculty of Arabic Language
Imam Mohammed Bin Saud Islamic University
KSA

Abstract

This research introduces some images of parallel eloquent structures and for Al- Jahiz in order to trace the presence of the linguistic heritage in contemporary studies and to reveal the impact of syntactic parallelism. In addition, the research intends to highlight the harmony of the content with the meaning implied in the communicative influence. The research has followed the descriptive and analytical approaches through describing and analyzing the examples included in the material of the study. Those examples came as classified according to the type of sentences: parallel structures of nominal phrases, parallel structures of verbial phrases and parallel structures of conditional sentences. The researcher has paved the way by displaying the concept of parallel structures and the associated terminology then the research indicates the levels and forms of parallelism, and the attitude of Al- Jahiz in the context of parallel structures on a theoretical level. The study has found out that the stating of parallel structuralism in eloquence and demonstrative texts established by Al- Jahiz, and in the selected texts. The selected texts came in with various terms of length and the type of sentences (nominal sentences, verbal, and conditional), simple and complex sentences, as the parallel came by agreement at times and different at other times. Composing words has merged in a phrasal division to achieve an effective communicative musical tuning and semantic deepening.

Keywords: Parallelism, Structural Parallelism, Similar, Heterogeneous Structures, Parallel Functions, Communicative Effect.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن التراث العربي يُعد ميدانًا خصبًا للإفادة اللغوية تعلمًا ودراسة؛ لما فيه من الاستيعابية لكثير من الظواهر اللغوية والقضايا التي تناولها البحث اللغوي المعاصر والدراسات اللسانية على اختلافها.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة المعنونة بـ "التوازي التركيبي في البيان والتبيين للجاحظ ـ دراسة لغوية"

وقد اُختير التوازي التركيبي للأسباب التالية:

١. تتمحور حوله كثير من الدراسات اللغوية فنية وبلاغية وأدبية.

٢. يُحدث تواصلية لغوية مؤثرة بالتنغيم اللفظي والتعميق المعنوي.

٣. يشمل المستويات اللغوية: الصوت والصرف والنحو والبلاغة والمعجم والدلالة، حيث يتطلب تحليل التركيب الوقوف عليها.

أما أسباب اختيار البيان والتبيين للجاحظ فهي:

١. القيمة اللغوية العظمى للجاحظ، وكتابه البيان والتبيين، وإشارات ذلك مبثوثة على ألسنة اللغويين في كتبهم، وقد خُص بالتفضيل في علم البلاغة شهرة ومنفعة: "وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان بن الجاحظ وهو لعمري كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارعة.. "[(١)]، وعُد أصلٌ من الأصول في الأدب: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها" [(٢)].

---

(١) الصناعتين، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ)ص٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، عبدالرحمن ، ط٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)١/ ٥٥٣.

٢. يخلو المجال البحثي من دراسة خاصة بـ "التوازي التركيبي في البيان والتبيين" ـ على حد علم البحث ـ وأكثر الدراسات دارت حول أسلوب الجاحظ في رسائله الأخرى.

٣. يُبرز الجاحظ التوازي نظريًا وتطبيقيًا: النظرية في آرائه ومقولاته حول الظاهرة، والتطبيق في اختياراته التي طرحها في الكتاب، وفي كتاباته التي أنشأها في الكتاب ذاته.

ومن هنا استهدف البحث التالي:

١. الوقوف عند حضور الموروث اللغوي في الدراسات المعاصرة.

٢. التَّعرف على صور التوازي التركيبي في البيان والتبيين.

٣. ربط التوازي التركيبي بتآلف المبنى مع المعنى في إحداث التأثير التواصلي.

منهج الدراسة:

اتّبع البحث المنهج الوصفي، حيث اعتمد الوصف والتحليل والاستناد إلى الأمثلة والشواهد وصولًا إلى استقراء الحقائق والنتائج.

الدراسات السابقة:

جاءت الدراسة الحالية مختلفة في مادتها ضمن عدد من الدراسات التي اتخذت التوازي التركيبي موضوعًا لها، ومتفردة في دراسة التوازي التركيبي ضمن عدد من الدراسات التي تناولت أسلوب الجاحظ ولغته، ومن هنا يمكننا تصنيف الدراسات ذات العلاقة إلى:

أولًا. دراسات تتصل بأسلوب الجاحظ ذي العلاقة بالتوازي التركيبي:

١-"رسائل الجاحظ، دراسة في شعرية النثر العربي" محمود كاظم موات الغزي، رسالة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م.

هَدَف البحث تطبيق الدراسة الشعرية على رسائل الجاحظ، فتناول شعرية الإيقاع وقيمته الجمالية (التكرار، التقابل، التنافر، التناظر الإيقاعي)، وشعرية الصورة وقيمتها الجمالية، وشعرية الظواهر التركيبية وجمالياتها (الاستفهام، والشرط، والفصل والوصل، والجمل الاعتراضية، والتقديم والتأخير)، وشعرية التناص، وشعرية الحجاج، وشعرية الاستطراد.

٢-"الإيقاع الداخلي في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ"، فتحي أبو مراد، ووفاء شهوان، مجلة

جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، م ٢٨(٨)، ٢٠١٤م.

هدف البحث دراسة الإيقاع الداخلي في رسالة التربيع والتدوير، فتناول التجسيدات الإيقاعية، مثل: الطباق، والجناس، والسجع، والتكرار، وبعض البنى الصرفية، والتنغيم، مبينًا قدرتها على الإيحاء بفكرة الرسالة الرئيسة المتحورة حول السخرية من أحمد بن عبد الوهاب.

٣-"المستوى الصوتي في رسائل الجاحظ"، سرحان جفات سلمان، وعلي عبد المحسن جفير، مجلة القادسية، م١٥، ع ٢، ٢٠١٥م.

هدف البحث الوقوف على العناصر الأساسية المكونة للإيقاع في رسائل الجاحظ، فتناول إيقاع المقطع الصوتي(الكلمة)، وشملت: التكرار، الجناس، الطباق، الترادف، وإيقاع المقاطع الصوتية(الجملة)، وشملت: التوازي المتقابل، التوازي المتسلسل، التوازي المتعاكس.

٤-"فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ (دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص)"، مفلاح بن عبدالله، مجلة لغة ـ كلام، ع٣، ٢٠١٦م.

هدف البحث دراسة فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل، ودوره في اتساق النص، فتناول أشكال التكرار، مثل: تكرار الوزن، والجناس، والترادف، والتضاد.

٥-"الأسلوب وطرائق العرض في أدب الجاحظ وأثره في أدباء العصور اللاحقة إلى نهاية القرن الخامس عشر"، هناء المعفاس، مجلة جامعة كير يكالي للعلوم الإسلامية، ع٣٠، ٢٠١٨م.

هدف البحث استجلاء التأثير الذي تركته آثار الجاحظ الأدبية والفكرية في مجال الأسلوب وطرائق التعبير، وتناول ممهدًا لذلك مميزات أسلوب الجاحظ، مثل: التكرار، والترديد، والترجيع، والازدواج، والتوازن، والحوار والمناظرة، والاستطراد.

٦-"تراكيب الفنون النثرية في كتاب البيان والتبيين، دراسة في البناء النحوي"، حسام فرج محمد أبو الحسن، رسالة دكتوراه، جامعة جنوب الوادي ـ كلية الآداب بقنا ـ قسم اللغة العربية، ٢٠١٨م.

هدف البحث دراسة الاستعمال اللغوي في النصوص النثرية في كتاب البيان والتبيين من حيث بناء الجملة، وتركيبها وتوزيعها على أنماطها المختلفة، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، وإضمار

وحذف، وتعريف وتنكير؛ لبيان مدى الالتقاء بين ما قرره النحاة من قواعدَ وأحكام وبين الواقع النحوي للنص، وتوضيح الجوانب الخلافية عندهم، للوصول إلى أحكام وقواعد أكثر ملاءمة لواقع اللغة.

وقد اختلفت البحوث السابقة عن البحث الحالي في الفكرة الرئيسة والهدف الأساسي؛ حيث تتوجه تلك البحوث إلى دراسة شعرية النص، والإيقاع الموسيقي، والتكرار، والمستوى الصوتي، وتأثر الأدباء بأسلوبه ـــــ كما مرّ أعلاه ـــ كما اختلفت في مادة الدراسة حيث اعتمدت رسائل الجاحظ المختلفة، فيما عدا الدراسة السادسة التي اتفقت مع الدراسة الحالية في المادة (البيان والتبيين)، واختلفتا في طبيعة الدراسة إذ الدراسة فيها دراسة نحوية، أما الدراسة الحالية فتتناول التوازي التركيبي دراسة لغوية.

ثانيًا. الدراسات ذات العلاقة بالتوازي التركيبي:

١. "التوازي التركيبي في القرآن الكريم"، عبدالله خليف الحيّاني، رسالة ماجستير، جامعة الموصل. كلية التربية، ٢٠٠٢م.

هدف الدراسة الوقوف على صور التوازي التركيبي في القرآن الكريم، فتناولت مفهوم التوازي، ثم تدرجت في الفصول لعرض الجمل الاسمية ومقيداتها، وتوازي الجمل الفعلية ومقيداتها، وتوازي الضمائم الإفصاحية، مثل: الاستفهام، والاستثناء، والقسم، والنداء.

٢. "علاقة الإيقاع بنوع التوازي التركيبي من خلال دالّاته، دراسة في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام"، علي صبار نجم، مجلة كلية الفقه، ٢٠١٥م.

هدف الدراسة الوقوف على مفردتي الإيقاع والتوازي التركيبي في بعض نصوص علي بن أبي طالب، فتناولت مفهومي الإيقاع والتوازي، ثم عرضت مجموعة من الأمثلة وقسّمتها حسب الجمل إلى جمل اسمية، وجمل فعلية، وشبه جمل، ومكملات الجمل، والأساليب.

٣. "التوازي التركيبي في بعض الجمل المتشابهة تركيبيًا ودلالته في الحديث، دراسة نصية في رياض الصالحين"، محمد عبد التواب مفتاح، مجلة العلوم العربية، ع ٤١، شوال ١٤٣٧هـ.

هدف الدراسة عرض أنماط توازي البنى المتشابهة تركيبيًا ودلالتها في النص النبوي، ومادتها أحاديث رياض الصالحين للإمام النووي، ومُهد له بالحديث عن مستويات التوازي اللغوي، ثم ظاهرة التوازي التركيبي في النص النبوي، وأسبابها المحتملة، ثم التعريفات المختلفة للتوازي التركيبي ومفهوم البنى المتشابهة تركيبيًا، وقد قُسمت الدراسة حسب الجمل، فبدأت بالجمل الاسمية ومقيداتها، ثم الجمل الفعلية، وآخرها الجمل الشرطية.

٤. "التوازي التركيبي في ديوان" فجر الندى "للشاعر الجزائري" ناصر الوحيشي "، دراسة أسلوبية ولسانية نصية"، نور الهد ى حلاب، مجلة الحكمة لدراسات الأدبية واللغوية، مج ٢٠١٦، ع ٧، ٣٠ يوليو/ حزيران، ٢٠١٦م.

هدف الدراسة استخراج أنماط التوازي في التراكيب الشعرية في ديوان الشاعر، فعرضت لمفهوم التوازي، والتوازي التركيبي، وأنواع التوازي، ودلالات التوازي التركيبي، تجليات التوازي التركيبي في الديوان الشعري (الجمل الاسمية، الجمل الفعلية، الاستثناء، النداء).

٥. "أثر التوازي التركيبي في دلالة المثل، مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا"، إيناس عدنان ملتان، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٦م.

هدف الدراسة الوقوف على أثر التوازي التركيبي في دلالة المثل، وتناولت مفهوم التوازي التركيبي في التمهيد، ثم عرضت صور التوازي التركيبي فبدأت بالجمل الاسمية، فالفعلية، ثم الشرطية، وأخيرًا الحذف في الجمل الاسمية والفعلية.

٦. "التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم، دراسة في الأساليب النحوية" رسالة ماجستير، أنصاف عبدالله الحجايا، الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠١٦م.

هدف الدراسة الوقوف على ملامح التوازي التركيبي الصرفي ضمن الأساليب النحوية في القرآن الكريم، وبيان مجموعة من مكونات التحول التي طرأت على هذه الأساليب ونقلها من هيئة إلى أخرى، فتناولت مفهوم التوازي التركيبي وأنواعه، ثم مظاهره في الأساليب النحوية، مثل: الاستفهام، والشرط، والاستثناء، والحصر، وأخيرًا عناصر التحول من أسلوب إلى آخر، والتحول من أسلوب

نحوي إلى جملة إخبارية.

يظهر مما ورد أعلاه اتفاق الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في الموضوع حيث تدور حول التوازي التركيبي، واختلافها في مادة الدراسة؛ حيث تنوعت تلك بين نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأدعية علي بن أبي طالب، ونصوص شعرية، والمثل. أما الدراسة الحالية فمادتها نصوص من البيان والتبيين للجاحظ.

كما اتفقت معها في اتخاذ التقسيم الجملي (اسمية، وفعلية، وشرطية)؛ ذلك أن طبيعة موضوع التوازي التركيبي يتطلب هذا التقسيم، وإن اختلفوا في جزئيات التقسيم من مقيدات للجمل والأساليب وفق مقام كل نص ومتطلباته.

تكمن أهمية الدراسة الحالية في مادة الدراسة حيث يمثل كتاب البيان والتبيين أكبر كتب البلاغة وأشهرها، ويعد أصلًا من الأصول في الأدب؛ لذلك هو خير ما يمثل كتب التراث في حضور الدراسات العصرية فيها.

خطة البحث:

استوت هذه الدراسة على مبحثين، كان المبحث الأول نظريًا جاء فيه الحديث عن مفهوم التوازي، ومفهوم التوازي التركيبي، وأنواعه، وإشارات الجاحظ ذات العلاقة بالتوازي التركيبي.

وتضمن المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، حيث حُللت فيها أمثلة تُبرز صور التوازي التركيبي في البيان والتبيين على النحو التالي:

١. التوازي في الجمل الاسمية.

٢. التوازي في الجمل الفعلية.

٣. التوازي في الجمل الشرطية.

ويخرج البحث بعدد من النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

الدراسة النظرية

مفهوم التوازي:

التوازي لغة: المقابلة والمواجهة[١]، والشبه، والتطابق والتماثل[٢].

أما تعريفه الاصطلاحي فيمكن إجمال أبرز ما ورد من أطروحات في إطاره وفق التالي:

١. البدايات العبرية الأولى لظهوره.

٢. الظهور المفاهيمي له في الدراسات العربية القديمة.

٣. مفاهيم رومان جاكسون صاحب نظرية التوازي.

٤. أهم التعريفات في الدراسات العربية الحديثة.

أولاً. البدايات العبرية الأولى لظهوره:

ورد في أدبيات دراسة التوازي أن أول ظهوره كان في الشعر اليهودي، فهو "تماثلات فنية معروفة، خاصة في الشعر اليهودي"[٣]، وهي "عبارة عن سطور متلاحقة الصلة بينها بترديد فقرة منها، أو بتفصيل عبارة مجملة تذكر في السطر الأول وتشرحها السطور التالية، أو بالاستجابة بين الشرط والجواب وبين الصلة والموصول لتعليق المعنى المنتظر على نحو يشبه تعليق السمع بانتظار القافية"[٤].

يتضح توفر التالي:

- التلاحق والتكرار والترديد.
- العلاقة والتشابه بين السطور المتلاحقة، والجمل.
- الترابط المعنوي بين الجمل.

---

(١) انظر: لسان العرب، بن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ، د.ط (بيروت: دار صادر، د. ت) (وزى) ١٥/ ٣٩١.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار ، ط١ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) (وزى) ٣/ ٢٤٣٥.

(٣)البديع والتوازي، الشيخ، عبدالواحد حسن ، ط١(مصر: مكتبة الإشعاع الفنية، ١٩٩٩م) ص٩.

(٤)اللغة الشاعرة، العقاد، عباس محمود، د.ط (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٢م) ص٢٠.

ثانيًا. الظهور المفاهيمي في الدراسات العربية القديمة:

جاء مفهوم التوازي في الدراســات العربية القديمة بمصــطلحات مختلفة، وجاء تطبيقًا في بعض نصــوصــهم الشــعرية منها والنثرية، ومن تلك المصــطلحات: التلاؤم(١)، والازدواج(٢)، والســجع المتوازي(٣)، والتشــطير(٤)، والانســجام(٥)، والتكرار(٦)، والجناس المزدوج(٧)، والترصــيع(٨)، والتسميط(٩).

وتُردد الدراسات أن السجلماسي في كتابه (المنزع البديع) قد مهد للتوازي بعدد من المصطلحات، مثل: التكرير والمعادلة، والمناسبة، والمشاكلة، والترصيع والموازنة، ومما جاء عنده ويتفق مع التوازي مفاهيميًا، التالي:

- التكرير: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع) في القول مرتين فصاعدًا. والتكرير اسم لمحمول يشابه شيء شيئًا في جوهره المشترك لهما فلذلك هو جنس عال تحته نوعان: أحدهما: التكرير اللفظي، لنسمِّه مشاكلة. والثاني: التكرير المعنوي ولنسمِّه مناسبة. وذلك لأنه إما أن يعيد اللفظ وإما أن يعيد المعنى، فإعادة اللفظ هو التكرير

---

(١) انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطلوب، أحمد، د.ت (بغداد: مطبعة المجمع العلمي بالقاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ٢/ ٣٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ٩٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٥٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٢١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ١/ ٣٢٩.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٣٦.

(٧) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٤١٨.

(٨) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٣٤.

(٩) انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٥٤.

اللفظي وهو المشاكلة. وإعادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة" [١].

- المعادلة وهو: "إعادة اللفظ الواحد بنوع الصور فقط في القول بمادتين مختلفتي البناء مرتين فصاعدًا. وهذا النوع هو جنس متوسط تحته نوعان: أحدهما: الترصيع، والثاني: الموازنة؛ لأنه إما أن يتحد اللفظان في ذوق زنة كلية هما فيها واحد بالنوع، ومقطعاهما وهما الحرفان اللذان يختمان بها واحدٌ وهذا هو النوع المسمى ترصيعًا، وإما أن يتفق اللفظان مع مقطعيهما وهذا هو الموازنة"[٢].
- المناسبة: "إيراد المعنى وما يليق به. تركيب القول من جزئين فصاعدًا كلُّ جزءٍ منهما مضاف إلى الآخر ومنسوب إليه بجهة ما من جهات الإضافة، ونحو ما من أنحاء النِّسبة. والمناسبة في أجزاء القول اسم جنس متوسط تحته أربعة أنواع: الأول: إيراد الملائم، والثاني: إيراد النقيض، والثالث: الانجرار، والرابع: التناسب" [٣].

في اجتماع التعريفات السابقة توفر التالي:

- التكرار اللفظي، أو المعنوي.
- التكرار يكون بين جملتين وأكثر.
- الموازنة بين الجمل.
- المناسبة بين الجمل تأتي بالملائم تارة، وبالنقيض تارة أخرى.

(١) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، أبومحمد القاسم، تحقيق: علال الغازي، ط١ (الرباط: مكتبة المعارف، ١٩٨٠) ص٤٧٧.

(٢) المنزع البديع، ص٥٠٨.

(٣) السابق، ص٥١٨.

ثالثًا. مفاهيم رومان جاكسون صاحب نظرية التوازي:

يعرِّف رومان جاكسون التوازي بأنه: "تأليف ثنائي" [١]، ومما جاء في بيانه أن التوازي "يوضع كل مقطع في الشعر علاقة ماثل مع كل المقاطع الأخرى لنفس المتوالية، تساوي الكلمة غير المنبورة الكلمة غير المنبورة، والكلمة الطويلة (تطريزيًا) تساوي الكلمة الطويلة، والكلمة القصيرة تساوي الكلمة القصيرة، ويساوي حد الكلمة حد الكلمة، وغياب الحد يساوي غياب الحد. والوقفة التركيبية تساوي الوقفة التركيبية، وغياب الوقفة تساوي غياب الوقفة، إن المقاطع تتحول إلى وحدات قياس نفس الشيء يقال عن المجتزءات والنبور" [٢].

ويأتي تصنيف بيانه وفق الشعر والنثر، "ففي الشعر يكون الوزن بالضبط هو الذي يفرض بنية التوازي: البنية التطريزية للبيت في عمومه، الوحدة النغمية وتكرار البيت والأجزاء العروضية التي تقتضي من عناصر الدلالة النحوية والمعجمية توريعًا متوازيًا، ويحظى الصوت هنا حتمًا بالأسبقية على الدلالة" [٣]، أما في النثر "فالوحدات الدلالية ذات الطاقة المختلفة هي التي تنظم بالأساس البنيات المتوازية وفي هذه الحالة يؤثر توازي الوحدات المترابطة على أساس المشابهة أو التباين أو المجاورة بشكل فعّال على بناء الحبكة وعلى تخصيص ذوات الفعل ومواضعه وعلى انسياب التيمات السردية" [٤].

يلحظ توفر التالي:

- البنيات المتوازية.
- التوازي يأتي بالتشابه تارة، والتباين تارة أخرى.

---

(١) قضايا الشعر، ياكبسون، رومان ، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنوز، ط١ (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨) ص١٠٩.

(٢) السابق، ص١٠٣.

(٣) السابق، ص١٠٨.

(٤) السابق.

رابعًا - أهم التعريفات في الدراسات العربية الحديثة:

من التعريفات الواردة قولهم:

- هو "عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها، وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة، أو المتوازية أو المتقابلة" (١).
- "التشابه الذي هو تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة شعرية" (٢).
- "تشابه البنيات واختلاف المعاني" (٣).
- "بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية دلالية" (٤).
- "تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وقد فُسِّر ذلك بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لها البنية نفسها، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إما على أساس المشابهة أو على أساس التضاد" (٥).

يتضح من التعريفات السابقة اتفاقها في التالي:

١. وجود جملتين أو أكثر في تركيب لغوي.

٢. ارتباط الجملتين بعلاقة تشابه أو تضاد.

٣. التكرار أو الاختلاف قد يقع في الصوت أو الصرف أو المعجم والدلالة.

٤. التوازي يعتمد على التقسيم الجملي الذي تتشابه فيه أطوال الجمل ومواقع عناصرها ووظائفها؛ فيحدث تنظيمًا يؤثر في البنية النصية تأثيرًا إيقاعيًا ودلاليًا.

---

(١)البديع والتوازي، ص ٢٤.

(٢)التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، مفتاح، محمد، د.ط (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م) ص ٩٧.

(٣)مدخل إلى قراءة النص الشعري، مفتاح، محمد، مجلة فصول، مج ١٦، ع١، ١٩٩٧م، ٢٠٩.

(٤)(التوازي ولغة الشعر)، كنوني، محمد، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، ع ١٨، ١٩٩٩م، ص ٨٠.

(٥)السابق، ص ٧٩.

وهي أساسيات اتفقت مع ما ورد منذ بدايات الحديث عنه، في قوالب الشعر العبري، بل ووضوحه في المصطلحات الواردة في الدراسات العربية، ومن ثم بروز مصطلحه في الدراسات الأجنبية.

وفنيات التوازي شملت مستويات اللغة: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية.

ويرى البحث الوقوف عند التوازي التركيبي؛ ذلك أنه حاضن الأنواع جميعها؛ فالتركيب فيه يضم أبنية صوتية وصرفية ومعجمية.

مفهوم التوازي التركيبي:

مصطلح (التوازي التركيبي)، يتكون من صفة وموصوف والصفة تلمح بتخصيص الموصوف بالتركيب واعتماده على التقسيم الجملي والعلاقات بين الكلمات داخل الجمل، ويمكن أن يطلق التعريفان المذكوران أعلاه على التوازي التركيبي، وهما:

- "بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية دلالية" (١).
- "تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وقد فُسِّر ذلك بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لها البنية نفسها، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إما على أساس المشابهة أو على أساس التضاد" (٢).

إذ التوازي التركيبي يقوم على جمل متتالية، والجمل نظم تركيبي من كلمات تحمل بنية صرفية، وترتبط فيما بينها بعلاقات ناظمة، وكل جملة تتصل مع غيرها في بنية متتالية مسبوكة دلالة وإيقاعًا معتمدة في ذلك على التشابه تارة والاختلاف تارة أخرى.

وهذا مضمون التعريفات أعلاه، وقد قيل: "إنما عُرف الأصل بالفرع للعلاقة الجامعة بينهما، وإطلاق الجزء على الكل" (٣).

---

(١) السابق، ص ٨٠.

(٢)السابق، ص ٧٩.

(٣) بلاغة التوازي في السور المدنية، العربي، عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية،١٤٣٦هـ، ص ٤٩.

أنواع التوازي التركيبي وأشكال تحليله :

يختلف تناول التوازي التركيبي ومنطلقات تحليله، فقد يرتكز التحليل على التقسيم الجملي: الجمل الاسمية، والفعلية، والشرطية.

وقد يرتكز على ما بينها من التشابه والاختلاف:

١. توازي البنى المتشابهة: وأساسه انتظام البنى الصرفية والنحوية في المتواليات، ويقوم على التماثل، والتماثل قد لا يكون تامًا(١).

٢. توازي البنى المتغايرة: وأساسه التناقض بين طرفين متقابلين، و"يتسم هذا النمط بوجود تقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتي كل متوالية على حدة" (٢)، مثل التوازي الحاصل بين النفي والإثبات.

للتوازي دالات، هي:

١. دالة الترادف: وتكون حينما تكرر المتوالية الثانية وما بعدها مضمون المتوالية الأولى.

٢. دالة التضاد: وتكون حينما تعارض المتوالية الثانية وما بعدها مضمون المتوالية الأولى.

٣. دالة التأليف أو التركيب: وتكون حينما تكمّل المتوالية الثانية وما بعدها النقص في مضمون المتوالية الأولى(٣).

الجاحظ والتوازي التركيبي:

يجمع العلماء على براعة الجاحظ علمًا وأدبا، واجتماع فنون الكتابة في قلمه ولسانه(٤)؛ مما أهله

---

(١) انظر: التوازي التركيبي في القرآن الكريم، الحياني، عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٢م، ص ١٩.

(٢) اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد، كنوني، محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١ (بغداد- العراق، ١٩٩٧م) ص١٢١ .

(٣) التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص٢٠ .

(٤) ينظر ترجمة الجاحظ في: تاريخ بغداد، البغدادي، أبو بكر أحمد بنعلي ، تحقيق: بشار عواد،ط١(بيروت: دار الغرب الإسلامي) ١٤/ ١٢٤؛ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، أبو البركات كمال الدين ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣(الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ) ١/ ١٤٨؛ ومعجم الأدباء، الحموي، شهاب الدين ، تحقيق: إحسان

للإتيان بالفنون اللغوية تنظيرًا وتطبيقًا، والصفحات التالية تطرح بعض إبداعه الكتابي والماثل في التوازي التركيبي؛ حيث يجيء عنده في إشارات مختلفة تدخل في إطار المتطلبات التي يقوم عليها التوازي في الكلام، ومن ذلك حديثه عن المزدوج، والسجع، والسبك، والتقسيم. ويمكن الإشارة إلى بعض من ذلك فيما يلي:

١. المزدوج: يأتي الازدواج في اللغة بمعنى: الاقتران[١]، وفي الاصـطلاح هو: "الكلام المتعادل من سجع أو من غير سجع" [٢]، وقد جاء حديث الجاحظ عنه في باب المزدوج من الكلام، حيث تابع الأمثلة فيه، ومنها "قال ابن أقيصـر: خير الخيل الذي إذا اسـتدبرته جَنَأ، وإذا اسـتقبلته أقْعى، وإذا اسـتعرضـته استوى، وإذا مشـى رَدَى، وإذا رَدَى دحا" [٣]، ومنه أيضًـا: "قالوا: قال النبي صـلى الله عليه وسـلّم في معاوية: " اللهم علِّمه الكِتاب والحسـاب، وقه العذاب "[٤]، كما أورد مصـطلح المزدوج في الحديث عن كلام العرب في كتاب (العصا)، حيث يقول: " ونحن ـــ أبقاك الله ـــ إذا ادَّعينا للعرب أصناف البلاغة من القصد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شـاهدٌ صـادق من الديباجة الكريمة، والرَّونق العجيب، والسَّبك والنَّحت، الذي لا يستطيع أشعَر الناس اليومَ، ولا أرفعهم في البيان أن يقولَ مثلَ ذلك إلا في اليسير، والنَّبذ القليل "[٥].

عباس، ط١(بيروت: دار الغرب الإسـلامي، ١٤١٤هـــ) ٥/ ٢١١٤؛ ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي ط١(بيروت: دار صـادر، ١٩٠٠) ٣/ ٤٧٠؛ والبداية والنهاية، ابن كثير، إسـماعيل الدمشـقي. تحقيق: علي شيري، ط١(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ) ١١/ ٢٥.

(١) انظر: لسان العرب، (زوج)، ٢/ ٢٩٣.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٣/ ٢٤٦.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن. تحقيق: عبد السلام هارون. ط١(القاهرة: مكتبة ابن سينا،٢٠١٠) ١/ ٧١.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٧١.

(٥) المرجع السابق، ٣/ ١٩.

وهو هنا يذكر المزدوج ويقرنه بالديباجة الكريمة والسبك، وفي موضع آخر يورده أثناء تعريف الأسجاع في باب مديح شدة العارضة، حينما عرض لإنشاد الشاعر[١]:

سَـــل الخطباءَ هـل سَـبَحوا كَسَـبْحي بـحُـوَرَ الـقَـولِ أو غَـاصُـــوا مَـغَـاصِـــي
لســـاني بـالـنـثـيـر وبـالـقـوافي وبـالأســـجـاع أمـهَـرُ في الـغِـواصِ

[النَّثير: الكلام المنثور. القوافي: خواتم أبيات الشِّعر. الأسجاع: الكلام المزدوج على غير وزن][٢].

ومما ورد أعلاه يتبين أن الجاحظ قد ذكر مصطلح المزدوج ومعه غير المزدوج، ولم يعرِّفهما، أو يفرِّق بينهما، " وأمثلته التي ذكرها تشير إلى معنى الازدواج والتعادل بين الجمل والعبارات "[٣].

٢. الأسجاع من الكلام: " السجع: الكلام المُقَفَّى، والجمع أسجاع وأساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا وسَجَّعَ تَسْجيعًا: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ الشِّعْر من غير وزن "[٤]، وعُرِّف اصطلاحًا بـــ" الأسجاع هي في النثر كما في القوافي في الشعر "[٥].

أورد الجاحظ" الأسجاع "في باب مديح شدة العارضة وعرَّفه ـ كما ورد أعلاه ـ بقوله: " الأسجاع: الكلام المزدوج على غير وزن "[٦]، وجاء عنده في بابين: الأول ـــ" باب آخر من الأسجاع في الكلام "، والثاني ـــ" باب أسجاع "، نقل فيهما نصوصًا وأمثلة كثيرة، فذكره مصطلحًا وبيانًا بالأمثلة، وتحدث عن فضله، ومن ذلك ما نقله من كلام لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي حينما قيل

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص، ورد في ديوان عبيد الأبرص، بتحقيق: نصار، حسين، ط١(القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٥٧م) ص ٧٦.

(٢) البيان والتبيين، ١/ ١٣٤.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٣/ ٢٤٦.

(٤) لسان العرب،(سجع) ٨/ ١٥٠.

(٥) مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م) ص٤٣١.

(٦) البيان والتبيين، ١/ ١٣٤.

له: لم تؤْثر السَّجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: " إن كلامي لو كنت لا آمُلُ فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر؛ فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط؛ وهو أحق بالتقييد وبقلة التَّفلُّت. وما تكلَّمت به العرب من جيِّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عُشرُه، ولا ضاع من الموزون عُشره "[١].

كما تحدث عن رأي بعض الأدباء في النهي عن السجع، فقال: " وكان الذي كرّه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أنَّ كُهَّان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدَّعون الكهانة وأَنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رِئيًا من الجن مثل حازِي جُهينة، ومثل شِقِّ وسَطيح، وعُزَّ سَلمة، وأشباههم، كانوا يتكهَّنون ويحكمون بالأسجاع "[٢]، وأشار إلى كراهية الأسجاع؛ لارتباطها بالكهانة ولقرب عهدهم بالجاهلية، ولما زالت العلة زال التحريم[٣]. وهكذا نلحظ عناية الجاحظ بالسجع، حيث ذكره مصطلحًا ومفهومًا، وتحدث عن فائدته، وعن حال الأدباء معه قبولًا ورفضًا.

٣. التقسيم[٤]: " قسَّمه: جزْأَه "[٥]. وفي الاصطلاح: " استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به "[٦]،

---

(١)المرجع السابق، ١/ ٢٠٤ .

(٢)المرجع السابق، ١/ ٢٠٥.

(٣)انظر: المرجع السابق، ١/ ٢٠٦.

(٤) يشار إليه بـ (الأقسام، وتصحيح الأقسام) وفق المفهوم الوارد وهو: استيفاء أقسام ما كان ذي أقسام على وجه صحيح، ومنه أيضًا تسلسل الأفكار وترتيبها ترتيبًا منطقيًا، وهو ما يناسب اهتمام اليونانيين بالفلسفة والمنطق. انظر: معجم البلاغة، ٢/ ٣٢٩.

(٥) لسان العرب،(قسم)، ١٢/ ٤٧٨ .

(٦) العمدة، ابن رشيق،أبو الحسن القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥(بيروت: دار الجبل، ١٩٨١م) ٢/ ٢٠.

وعُد من التقسيم التقطيع[١]، وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعًا أو شبيهًا بالمسجوع أُطلق عليه الترصيع[٢]. وقيل: " هو الكمال في المعاني باستيفاء أقسامها واستقصاء متمماتها "[٣]، وقد جاءت إشارة الجاحظ للتقسيم في: " باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللِّسَن والامتداح به والمديح "، وذلك حينما أورد إعجاب عمر بن الخطاب بشعر زهير في قوله:

وإن الحقَّ مَقطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نِفارٌ أو جلاء

فقال: " من علمه بالحقوق وتفصيله بينها، وإقامته أقسامها "[٤]. وجاء مصطلح (تصحيح الأقسام) في سياق الحديث عن البلاغة" قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام "[٥]. يُلحظ إشارة الجاحظ بذكر المصطلح، وإيراد الأمثلة دون ذكر حده أو ضوابطه، والأمثلة التي أوردها تشير إلى أهمية التقسيم وقيمته عند الجاحظ، بدليل الإشارة إلى إعجاب عمر بالمثال ـ أعلاه ـ، بالإضافة إلى أن الجاحظ أورده ضمن تعريفات البلاغة الواردة في الكتاب.

٤. السَّبْك: " سَبَك الذهب والفضة ونحوه من الذائب يسبُكُه ويسبِكُه سَبْكًا وسَبَّكه: ذَوَّبه وأَفرغه في قَالَب "[٦]، ومفهومه في الاصطلاح" طريقة تهيئة الكلام وترتيبه بحيث يكون وحدة فنية ذات دلالة وتأثير "[٧]، " وهو مذهب في نقد الأدب العربي، أول من نادى به الجاحظ، مؤداه أن نقد الأثر الأدبي يجب أن يكون موجهًا إلى آثار الصَّنعة فيه من جودة تشبيه وحسن استعارة وابتكار صورة، لا إلى ما تضمنّه

(١) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٦.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢/ ٣٣٢.

(٤) البيان والتبيين، ١/ ١٧٤.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٧٧.

(٦) لسان العرب، (سبك)، ١٠/ ٤٣٨.

(٧) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة، مجدي ، والمهندس، كامل ،ط٢ (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م) ص ٢٢٨.

من معان وأفكار "[١]، ذكره الجاحظ في باب (ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله)، إذ جاء فيه" ولم أرَ غاية النحويينّ إلا كلَّ شعرٍ فيه إعراب. ولم أرَ غاية رواة الأشعار إلا كلَّ شعرٍ فيه غريبٌ أو معنى صعبٌ يحتاج إلى الاستخراج. ولم أرَ غاية رواةِ الأخبارٍ إلا كلّ شعرٍ فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامتهم- فقد طالت مشاهدتي لهم- لا يقفون إلّا على الألفاظ المتخيِّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السَّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيَّد، وعلى كل كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت لِلِّسان بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني ". [٢] وفي (السبك) أيضًا يورد: " وأجود الشِّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان "[٣]، هذه النصوص تشير إلى اهتمام الجاحظ بالصياغة والتصوير، فهو يرى أن البلاغة في النظم لا المعاني، وقيمة الكلام في الترابط وتلاحم الأجزاء، وهذه من أساسيات التوازي ـ كما سيتضح في الصفحات التالية ـ

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٢)البيان والتبيين، ٤/ ١٤.

(٣)المرجع السابق، ١/ ٦٥.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية

التوازي التركيبي في البيان والتبيين:

يتّبع البحث دراسة التوازي بالنظر إلى التركيب الجملي؛ أي التحليل وفق نوع الجمل؛ وذلك أن هذا التقسيم شمولي يتسع للتحليل وفق المستويات حيث يتطلب التحليل الداخلي للجملة الوقوف عند محتوياتها الصوتية، وبنية اللفظ الصرفية، وتوزيع الألفاظ وفق موقعها في التركيب النحوي، وتأثير ذلك كله في الإيقاع الصوتي والدلالي.

يأتي العرض لصور التوازي في المادة المدروسة على النحو التالي:

١. التوازي في الجمل الاسمية.

٢. التوازي في الجمل الفعلية.

٣. التوازن في الشرطيّة.

ويحلل الجمل ببيان نوعها من حيث التشابه والتغاير، وما فيها من دالات الترادف والتضاد والتأليف، وما ينتج عن ذلك كله من تأثير تواصلي بالتنغيم الموسيقي والتعميق الدلالي.

أولاً- التوازي التركيبي في الجمل الاسمية:

١. " الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط "[(١)].

تكوّنت بنية التركيب من أربع جمل: جملة اسمية + جملة فعلية+ جملة فعلية+ جملة اسمية.

الجملة الأولى تكونت من: مبتدأ+ حرف عطف+ معطوف+ خبر.

أما الجملتان الثانية والثالثة فمتماثلتان في عناصرهما؛ حيث تكوّنت كل منهما من: حرف عطف + فعل+ فاعل(خبر مقدم)+ مبتدأ مؤخر+ جار ومجرور.

والجملة الرابعة تكونت من: حرف عطف+ مبتدأ + خبر(فعل وفاعل)+ مفعول به(مصدر

(١)البيان والتبيين، ١/ ٧١.

مؤول)+حرف جر+ اسم مجرور + حرف عطف+ مفعول به (مصدر مؤول) +حرف جر + اسم مجرور.

يلحظ التوازي التركيبي بتماثل المواقع الإعرابية والكلمات وإن لم يكن التماثل تامًا في الكلمات، انظر إلى المتواليات:

نعم العون هي له

نعم الترجمان هي عنه

ولم يكن التماثل في الكلمات تامًا، حيث اختلفت كلمة(العون) عن كلمة(الترجمان) وكذلك حرف الجر في (له) عن حرف الجر في(عنه) واختلاف (الترجمان) جاء تأكيدًا وتفصيلًا؛ فالعون عام والترجمة خاص، كما أن العون تفصيل للشراكة في الجملة الاسمية الأولى وذلك كله تدرج في التفصيل يؤتي توازيًا في التقطيع، ونغمًا يتبعه تدرج دلالي، إضافة إلى دقة الاختيار لفعل المدح(نعم) وتكراره لتعميق الدلالة. أما اختلاف حرف الجر مع تماثل الضمير المجرور ففيه تنغيم يصحبه تنوع دلالي من الدلالة على استحقاق اللفظ للعون في الأولى، والاستغناء بالإشارة ترجمةً عن اللفظ، وتجيء الجمل بعده مؤكدة.

وما أكثر ما تنوب عن اللفظ

وما تغني عن الخط

وتأتي هذه المتواليات أيضًا فيها تماثل في المواقع الإعرابية وشبه تماثل في الكلمات، ففي الجملة الأولى كانت البداية بصيغة (ما أفعل) وحُذفت من الثانية اكتفاءً بالأولى للعلم الواضح بها مع حصول التأكيد على المعنى بتلاحق الفعلين المتفقين في الوظيفة النحوية والصرفية، المختلفين في اللفظ مع تشابه المعنى المعجمي؛ حيث تحمل كل من (تنوب) و(تغني) عدم الحاجة معهما إلى الشيء؛ فإذا نابت الإشارة عن اللفظ فلا حاجة إليه، وإذا أغنت عن الخط فلا حاجة إليه. وكذلك جاء التماثل في الموقع الإعرابي في كلمتي(اللفظ) و(الخط) مع اختلافهما لفظًا ومعنى والذي أراه أن ذلك أدعى لإظهار قيمة الأداء الدلالي للإشارة.

وتأسيسًا على هذا فإن التوازي التركيبي هنا هو تواز ترادفي؛ حيث اعتمد الجمل المتلاحقة لتدعيم الفكرة وتقويتها، فجاء التماثل وشبهه مع التكرار.

٢. "حتى كأن البيت بأسْرِه كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد "[١].

تكونت بنية الجملة الأولى من: حتى +حرف ناسخ +اسم كأن +جار ومجرور(مضاف)+ مضاف إليه(ضمير غيبة مذكر) +خبر كأن+ صفة(مؤنث).

والجملة الثانية تكونت من: حرف عطف+ حتى +حرف ناسخ +اسم كأن +جار ومجرور(مضاف)+ مضاف إليه(ضمير غيبة مؤنث) +خبر كأن+ صفة(مذكر).

يلحظ اتفاق الوظائف النحوية، وتكرار بنية مقيدات الجملة الاسمية، وقد أدى هذا إلى إضفاء تنغيم موسيقي أسهم فيه التوازي الصوتي الناتج من التجانس للحروف والتقطيع للكلمات، كما جاء التماثل في البنى الصرفية والاختلاف تذكيرًا وتأنيثًا في (بأسره ــ بأسرها)، (واحد ــ واحدة) وكذلك جاء الاتفاق والاختلاف في (كلمة) الحاصل من التناوب في العنصر اللغوي ذاته في الانتهاء والابتداء وفي الوظيفة النحوية؛ حيث جاءت خبرًا في الجملة الأولى واسمًا في الجملة الثانية، هذا إضافة إلى التنويع والانتقال من الكل إلى الجزء (البيت ــ الكلمة) (كلمة ــ حرف) وهو انتقال من جزء إلى كل موصل إلى دلالة عامة تشير إلى وحدة النظام في الشعر والكلام، يتبين تآزر التوازي صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ومعجميًا ودلاليًا في إبراز دلالة التحام الأجزاء في البيت الشعري وجودة الشعر في توفر تلك الخاصية التي هي محور الفكرة الرئيسة، حيث ظهر من التكرار للأصوات، والكلمات والمقاطع الصوتية وانسجامها وتدفقها بسبك محكم، هذا الانسجام والترابط يتفق مع دلالة الالتحام في الشعر وسهولة المخارج فيه التي توفر الجودة، وكأن الأسلوب المستخدم في الجمل ينطق بالدلالة المقصودة ويوحي بها، إضافة إلى أن دلالة الكلمات توحي بالتلاحم إذ كلمة (البيت) توحي بالبناء المتلاحم الذي يقوم على تركيب الأجزاء والتصاقها، وكلمة (بأسره) تدل على الالتحام ففي

(١)البيان والتبيين، ١/ ٦٥.

المعجم: " أَسَرَهُ يَأسِرُه أَسْرًا وإِسارَةً شَدّه بالإِسارِ. والإِسارُ: ما شُدّ به.... ويقال للأسير من العدوّ: أسـير لأن آخذه يسـتوثق منه بالإسـار، وهو القد لئلا يُفلِتَ.... وجاء القوم بأَسْـرِهم؛ قال أبو بكر: معناه جاؤوا بجميعهم وخَلْقِهم "[(١)]، وفي كل ذلك التحام وتجمع. والذي أراه ـ أيضًا ـ أن استخدام الجملة الاسمية يوحي بالثبات، وفي الثبات التحام وتماسك.

٣. " العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم "[(٢)].

تكوّن التركيب من ثلاث جمل لهم بنية واحدة تتألف من مبتدأ + خبر + مضاف إليه.

جاء التقسيم الجملي باتفاق الوظائف النحوية، محققًا الانسجام والتساوي في عناصر الجملة، حيث تتابعت كلماتها بنغمات موسيقية إيقاعية، وتقطيع صوتي مقنن، وبُنى لفظية مرتبة وظيفيًا وصرفيًا، وبتتابع دلالي متدرج، حقق تعميق المفهوم. وقد تضافرت الأصوات في كلماتها والبنى مع التوازي التركيبي، لننظر إلى تكرار الكلمات بصيغ متماثلة (العقل ـ الروح) و(العلم ـ والعقل) وبينهما صيغة اسم الفاعل(رائد) بلفظه ووظيفته النحوية. وكذلك المماثلة في عدد الكلمات، والمماثلة تأتي ـ أيضًا ـــ في الكلمتين الأوليتين حيث انتهائهما بالحروف ذاتها وبمد يتبعه حرف النون (البيان ترجمان) وبموسيقا هادئة، وتظهر فنيّة التوازي البديعي في رد عجز الجملة الثانية على صدر الجملة الأولى، وتتحقق براعة أيضًا التوازي الدلالي في تدرج الدلالة؛ حيث ينير العقل(يعبر عنه بالتمييز الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، وسُمي عقلًا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك) [(٣)] الطـــريق للروح يعـبـر عنها بـ" ما به حياة النفس "[(٤)]، والعلم ينير الطريق للعقل، والبيان تفسير للعلم.

يلحظ هنا أن التوازي التركيبي تمثل في طول الجمل، والنغمة، وتوزيع الألفاظ وفق موقعها في

(١)لسان العرب،(أسر)، ٤/ ١٩.

(٢)البيان والتبيين، ١/ ٧١.

(٣)المرجع السابق، (عقل)، ١١/ ٤٥٨.

(٤)المرجع السابق، (روح)، ٢/ ٤٦٢.

التركيب. والاعتماد على دالة التركيب التأليفي حيث تتابع إتمام المعنى وتأليفه مع تتابع التراكيب.

٤. "اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلمُ مطلقٌ في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن مثله للقائم الراهن. والكتاب يُقرأ بكل مكان، ويُدرس في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره "[١].

جاء التوازي باستخدام خمس جمل وبنيتها النحوية كالتالي:

الجملة الأولى: مبتدأ+ خبر+ جار ومجرور+ صفة.

الثانية: مبتدأ+ خبر+ جار ومجرور+ حرف عطف ومعطوف.

الثالثة: مبتدأ+ جار ومجرور+ صفة+ خبر+ جار ومجرور+ صفة.

الرابعة: مبتدأ+ فعل(مبني للمجهول) جار ومجرور+ مضاف إليه+ حرف عطف+ فعل(معطوف)+ جار ومجرور+ مضاف إليه.

الخامسة: مبتدأ+ خبر(حرف نفي+ فعل +مفعول به+ مضاف إليه" ضمير ")+حرف عطف+ خبر(حرف نفي+ فعل +مفعول به+ مضاف إليه" ضمير ").

حققت الجمل أعلاه بعدًا تواصليًا وانسجامًا نصيًا؛ تحقق بتكرار البنى اللفظية في مواقع نحوية واحدة، مثل: " اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب "(مقصور) و(مطلق) كل منهما اسم مفعول وإن اختلف البناء فيهما فالأول من الثلاثي والثاني من الرباعي، وكذلك تتابع اسم الفاعل في الجملة الأولى والثانية مع الاحتفاظ بالوظائف النحوية ذاتها، والاختلاف في الأولى عن الثانية بمجيء الصفة المشبهة (قريب) سابقة لاسم الفاعل وتوالي اسم الفاعل في الثانية. واختيار الصفة المشبهة مع اللسان تضفي دلالة الثبوت إضافة إلى دلالة القرب من المادة ذاتها، أما القلم فقد تكررت معه صيغة اسم الفاعل التي تدل على

(١)البيان والتبيين، ١/ ٧٢.

الاستمرار[1] مؤكدة أيضًا بدلالة الاستمرار من مادتي (الشاهد والغائب)، ويلحظ أيضًا التوازي باستخدام الصيغ ذاتها بدلالتها المؤكدة بالمادة والوزن إضافة إلى الموقع الإعرابي في (وهو للغابر الحائن، مثله للقائم الراهن).

ويظهر حسن التوازي في استخدام صيغة المبني للمجهول وتوازيه مع المبني للمعلوم مع المناسبة الدلالية في(والكتاب يُقرأ بكل مكان، ويُدرس في كل زمان؛ واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره) وكأننا نلمح دلالة العموم مع المبني للمجهول، ودلالة الخصوص مع المبني للمعلوم. ويُردف ذلك التوازي بين الإثبات مع الكتاب والنفي مع اللسان، ويزداد التوازي حسنًا في التنويع باستخدام الحروف تماثلًا وتخالفًا (بكل، في كل) حيث اختلاف نوع الحرف(الباء، في) مع الاتفاق في الدلالة. وتتجلى مهارة استخدام التوازي الصرفي مع التركيبي في استثمار أنواع الكلام(الاسم، والفعل، والحرف) والإمكانات التصريفية لها وربطها بقيم دلالية وإيقاعية.

ومما ورد أعلاه يظهر التوازي النحوي في تكرار الوظائف النحوية للصيغ الصرفية بالإضافة إلى التوازي الدلالي المرتبط لزامًا مع البنى الصوتية والصرفية أضف إلى ذلك استخدامه التراف في (الغابر الحائن) (القائم الراهن) والمقابلة في (اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب) والضد في (الشاهد الغائب) ويظهر الربط الدلالي ودقة التفكير في التعبير عن دلالة الكتابة باستخدام (القلم) التي هي أداة الكتابة، و(الكتاب) الذي هو وعاء الكتابة. إضافة إلى التكرار باستخدام النفي بـــ (لا) مرتين مع تماثل الموضع في كليهما، وكذلك تكرار دلالة العموم باستخدام لفظ(كل) مرتين مع تماثل الموضع أيضًا في كليهما.

وكذلك الربط بين (اللسان) حيث دلالته على الملاصقة والمساس. ألا ترى التصاق اللسان باللهاة في تكوينه ومن هنا استثمار حال اللسان تجسيدًا وتجريدًا لإعطاء مفهوم الملاصقة للحاضر القريب دون

---

(١) انظر دلالة اسم الفاعل والصفة المشبهة في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، عبدالله بن يوسف، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، ط٥(بيروت: دار الجبل، ١٩٧٩م)٣/ ٢١٦؛ ودراسات في النحو، الزعبلاوي، صلاح الدين ، موقع اتحاد كتاب العرب، ص٤٠٩.

مجاوزته إلى الغائب الذي يصل إليه (القلم) و(الكتاب) بدلالة القوة المصاحبة للقاف في (القلم) والكاف في (الكتاب). كل هذا في إيقاع موسيقي منسجم ومنسّق بين الكلمات داخل الجمل؛ انظر التقطيع الصوتي في توزيع تلك الكلمات المصاحب لدوال التضاد:

" اللسان مقصور ⟵ القلم مطلق "

" على القريب الحاضر ⟵ في الشاهد الغائب "

" للغابر الحائن مثله للقائم الراهن ".

ويظهر الربط الصوتي ابتداء وانتهاء؛ حيث البدء باللسان والانتهاء به، مع توافق التوازي تركيبًا وصوتًا ودلالة؛ انظر الجملة التي بدأ بها: " اللسان مقصور على القريب الحاضر "، والجملة التي انتهى بها: " واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره "، فالربط والإيقاع بتكرار كلمة (اللسان) التي هي محور الحديث، وتكرار المعنى في الدلالة على محدودية النطاق.

وتأسيسًا على الشرح أعلاه فإن التوازي هنا من توازي البنى المتشابهة باستخدام التضاد مع التكرار.

ثانيًا ـ التوازي في الجمل الفعلية:

١. " تراها متَّفقة مُلْسًا ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه "[(١)].

جاء التركيب الفعلي في سياق الحديث عن حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، وقد جاء التركيب واصفًا إياها بجملتين: الأولى منهما مكونة من: فعل+ فاعل مستتر+ مفعول به+ حال١+حال٢+ حرف عطف+ معطوف حال مضاف+ مضاف إليه+ حال.

أما الثانية فمكونة من: حرف عطف + فعل+ فاعل مستتر+ مفعول به+ حال١+حال٢+ حرف عطف+ معطوف(حال١)+ معطوف(حال ٢)+ حال (جملة فعلية مكون من فعل+ فاعل مستتر+ حرف جر+ اسم مجرور+ حرف عطف+ معطوف(فعل+ فاعل مستتر+ مفعول به ضمير).

جاء التوازي التركيبي هنا في البنى المتشابهة، فقد تكرر الفعل المضارع مع فاعله المستتر ومفعوله

(١) البيان والتبيين، ١/ ٥٦.

الضمير بموقعه الإعرابي ولفظه، ثم توالت الألفاظ بتماثل مواقعها الإعرابية مع اختلاف في الجملة الأولى حيث مجيء المعطوف مضاف ومضاف إليه (لينة المعاطف) في موازاة (متنافرة) في الجملة الثانية؛ وقد تكون الإضافة فيها إضفاء تقرير الصفة لما تحمله لفظ (المعاطف) من دلالات إيحائية للحنو تارة، والاتجاه والناحية تارة أخرى، فاللين والسهولة والحنو في اتجاهاته كلها. مع اعتماده على دالات التضاد بين ألفاظ المتوالية الأولى والثانية، ودالات الترادف بين ألفاظ الجملة الواحدة، ففي الجملة الأولى: (ملسا، لينة، سهلة) وفي الجملة الثانية: (مختلفة، متباينة، متنافرة)، ويأتي التقرير للصفات في الجملة الثانية بجملتين فعليتين متواليتين (تشق على اللسان وتكده) بشبه تماثل (فعل مضارع، فاعل مستتر، مفعول اسم ظاهر + فعل مضارع، فاعل مستتر، مفعول ضمير) ومجيء الأفعال هنا تأكيد للحدث وتغير لفظ الأفعال(تشق وتكدّ) زيادة تقرير خاصة مع دقة اختيار الفعل الثاني معنى وصوتًا في في الدلالة على الإرهاق والصعوبة.

أحدث التوازي هنا تناغمًا موسيقيًا، وتلوينًا دلاليًا متماثلًا تارة، ومختلفًا تارة أخرى، انظر الطول والنغمة، والتقطيع الصوتي، والتنسيق الناتج من توزيع الألفاظ توزيعًا قائمًا على الإيقاع، وتجاور الأصوات: الميم في (متَّفقة مُلسا) إضافة إلى تتابع الكلمتين دون فاصل، ثم مجيء الفاصل (حرف العطف) وتتابع ألفاظ مؤكدة دون فاصل، وتوازي صيغي حيث تكرار الصيغ بتوازن بين الجملتين (متفقة ـ مختلفة) وداخل الجملة الواحدة (تشقّ على اللسان وتكدّه).

٢. " وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال: رحم الله عبدًا أعطى من سَعَة، وآسى من كَفَاف، وآثر من قِلة"(١).

جاء التركيب الفعلي في سياق الحديث عن دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب، وورد بتقطيعات متساوية مكونة من ثلاث جمل فعلية مبدوءة بفعل + فاعل مستتر + جار ومجرور. التوازي التركيبي قائم على البنى المتشابهة، وقد اعتمد على التماثل في الوظائف النحوية، حيث تكرر حرف العطف (الواو) بين الجمل المبدوءة بالفعل الماضي، ثم الجار والمجرور مع توحيد الفاعل

(١) المرجع السابق، ٣/ ١٨٠.

الضمير المستتر في كل وهو الضمير الغائب، إضافة إلى توحيد البنى في المجرور إذ جاء مصدرًا باختلاف الحركة في (سَعَة) و(كَفَاف) مع (قِلة) واتفاق الأخير مع (كَفاف) في المعنى فيكون تكرار بالترادف وهنا يحدث التناغم مع وقفة للمتلقي ما بين اتفاق المعنى واختلاف الصوت، كما جاء التوازي من الاتفاق والاختلاف الوارد في (سَعَة) (قِلة) اتفاق في قافية الفعل واختلاف في الحركة، وتناوب الاتفاق والاختلاف: الاتفاق في (آسى من كَفَاف، وآثر من قِلة" والاختلاف بينهما وبين (أعطى من سعة) مع ملاحظة اجتماع الأفعال الثلاثة (أعطى، وآثر، وآسى) في المعنى العام وهو المنح، مع احتفاظهما في الدلالات الخاصة لكل فعل، واجتماع المصادر(كفاف، قلة) في المعنى العام وتضادهما مع (سعة).

وتأسيسًا على هذا فإن التوازي التركيبي هنا قائم على البنى المتشابهة، واستخدام دلالة الترادف، فالجمل متوازية ترادفيًا مع استخدام التضاد في مواضع قليلة لإحداث عمق دلالي مع التقطيع المتساوي في البنى.

٣. "قال صُحَار: أن تُجِيبَ فلا تبطئَ، وتقول فلا تُخطْئ"(١)

جاء التركيب في سياق الحديث عن البلاغة وسؤال معاوية لصحار عنها، فأجابه قائلًا: الإيجاز، ثم يتبعه بالسؤال عن الإيجاز فكانت الإجابة بجملتين فعليتين: الأولى تتكون من: أداة نصب+ فعل مضارع منصوب+ فاعل(ضمير مستتر)+ حرف عطف+ لا النافية+ فعل مضارع+ فاعل(ضمير مستتر).

أما الثانية فتتكون من: فعل مضارع منصوب+ فاعل(ضمير مستتر)+ حرف عطف+ لا النافية+ فعل مضارع+ فاعل(ضمير مستتر).

اعتمد التوازي التركيبي على البنى المتشابهة؛ حيث تكررت الألفاظ في مواقعها ووظائفها النحوية، إضافة إلى صيغها؛ انظر إلى تتابع صيغ المضارع (تجيب، تبطئ، تقول، تخطئ) واتفاق الموقع الإعرابي والصيغة مع تماثل بدايات الفعل (تاء المضارع المخاطب).

(١) البيان والتبيين، ١/ ٨٢.

والفاعل الضمير(المخاطب أنت)، وتكرار حرف النفي(لا) وقبله (الفاء) في تتابع تركيبي تأليفي؛ فقد أتمت المتوالية الثانية الدلالات المرادة التي تبيّن متطلبات الإيجاز، وقد جاء النغم متسقًا في تقطيع متساو بين الإثبات مع النفي في الجملة الأولى وتكراره في الجملة الثانية، اجتمع التغاير في الجملة الواحدة (النفي+ الإثبات) مع التشابه في الجملتين حيث ورود التغاير في كلتيهما على نسق واحد وفي تنسيق موسيقي مع تعميق دلالي وقد أدى توحيد الصيغة والموقع إلى تآلف النهايات ـ أيضًا ـ في الجملتين فخلف سجعًا شارك التوازي التركيبي في النغم.

ثالثاً - التوازي في الجمل الشرطية:

١. "..... لأن الشيء في غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"(١).

جاء الكلام في سياق الحديث عن البيان والبلاغة، ومضمونه إذا ظهر من الشيء مالم يتوقع منه كبر في العيون حقه، وكثر مدحه. وجاء التوازي في أربع جمل شرطية متوالية على النحو التالي:

الجملة الأولى: أداة شرط غير جازمة+ فعل الشرط(فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبره اسم ظاهر) + جواب الشرط (فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبر اسم ظاهر+ جار ومجرور).

الجملة الثانية: أداة شرط غير جازمة+ فعل الشرط(فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبره اسم ظاهر +جار ومجرور) + جواب الشرط (فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبر اسم ظاهر).

الجملة الثالثة(أداة شرط غير جازمة+ فعل الشرط(فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبره اسم ظاهر) + جواب الشرط (فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبر اسم ظاهر).

الجملة الرابعة: (أداة شرط غير جازمة+ فعل الشرط(فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبره اسم ظاهر) + جواب الشرط (فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير مستتر+ خبر اسم ظاهر).

اعتمد التوازي النحوي هنا على البنى المتشابهة، حيث إعادة البنية النحوية مع إضافة عناصر جديدة

(١) البيان والتبيين، ١/ ٧٨ .

في بعضها، انظر إلى:

- التناوب فيظهر في التناوب المكاني بين فعل الشرط وجوابه في الجملة الشرطية الأولى والثانية ونتج عنه رد الأعجاز إلى الصدور فأحدث محسنًا إيقاعيًا في الجملة.

ـ تكرار صيغة أداة الشرط.

ـ تكرار صيغ أفعال الشرط وجواب الشرط، واتحاد صيغ أفعال الشرط وجوابه (فعل ناسخ "كان"، واسمه "ضمير مستتر" وخبره "أفعل التفضيل"، مع الإضافات التالية: ورود صيغة الجار والمجرور في جواب الشرط في الجملة الشرطية الأولى وفي فعل الشرط في الثانية.

وقد نتج عن هذا تناغم واضح في تكرار التركيب ذاته والوظائف النحوية للكلمات الواردة في الجمل فأنتج حسن السبك وجودة التأليف. وهذا النسق التركيبي قد أحدث توازيًا دلاليًا؛ ذلك أن التركيب نظم يحتوي ولابد على كلمات تتشكل في صيغ صرفية معجمية تسهم في العمق الدلالي، وهو ما بدا لنا في النسق التركيبي أعلاه حيث يوحي بدلالة الاستمرارية والترتب مع الأفضلية؛ فاستخدام "كلما" التي تفيد الاستمرارية، واستخدام الشرط والجزاء وتلاحقها يفيد الترتب، ومجيء أفعل التفضيل يفيد الأفضلية، بالإضافة إلى التدرج المعجمي في الكلمات المتتابعة، من "أغرب" التي تفيد حُسن الحالة، إلى "أطرف" التي تفيد الاستملاح للشيء، إلى "أعجب" التي تفيد دلالة إثارة السرور وجلب الميل إلى الشيء، وإلى "أبدع" التي بلغت الغاية في الخلق والجدة في الشيء. بنية التوازي هذه أفادت في تعميق المعنى، وهو تتابع تركيبي تأليفي؛ فقد أتمت المتواليات المتلاحقة الدلالات المرادة التي تتابعت من البدايات في تصاعد وتنامي.

٢. "... فإذا حفظت وصيتي فلا يكونَنَّ غائب أحبَّ إليك من الموت؛ وهو آتيك. وإن ضيَّعت وصيَّتي، فلا يكونَنَّ غائب أبغض إليك من الموت؛ ولَسْتَ بمُعجز الله"(١).

هذا كلام أبي بكر الصديق لعمر ـ رحمه الله ـ حين استخلفه عند موته، وجاء التوازي فيها بجملتين شرطيتين على النحو التالي:

(١) البيان والتبيين، ٢/ ٢٨.

الجملة الأولى: أداة شرط غير جازمة "إذا" + فعل الشرط "فعل ماض + تاء الفاعل+ مفعول به+ ضمير مضاف إليه" + الفاء الرابطة+ جواب الشرط "لا الناهية+ فعل مضارع+ نون التوكيد+ اسم يكون+ خبره+ جار ومجرور+ جار ومجرور" +حرف عطف+ جملة اسمية "مبتدأ+ خبر+ مضاف إليه".

الجملة الثانية: أداة شرط جازمة "إن" + فعل الشرط "فعل ماض + تاء الفاعل+ مفعول به+ ضمير مضاف إليه" + الفاء الرابطة+ جواب الشرط "لا الناهية+ فعل مضارع+ نون التوكيد+ اسم يكون+ خبره، جار ومجرور+ جار ومجرور" + حرف عطف+ جملة فعلية "فعل ماض ناقص+ اسمه ضمير+ خبر جار ومجرور+ مضاف إليه".

اعتمد التوازي التركيبي على البنى المتشابهة فيما عدا التغاير الذي جاء في نهاياتها، وقد بدت فنيات النظم انسجامًا وترابطًا وتقطيعًا على النحو التالي:

- التقطيع الصوتي، والوقف القصير "أحب إليك من الموت؛ وهو آتيك"، "أبغض إليك من الموت؛ ولست بمعجز الله".
- التكرار للكلمات بأصواتها "وصيتي ـ فلا ـ يكوننَّ ـ غائب ـ إليك ـ من الموت" ـ
- تـكـرار الـصيغ، مثل: صيغة الفعل الماضي "حفظت، ضيّعت"، وصيغة أفعل التفضيل "أحب، أبغض".
- صيغة الماضي+ ضمير الفاعل "حفظت ـ ضيّعت".
- الاسم+ ضمير المتكلم "وصيتي ـ وصيتي".
- أداة النهي + الفعل المضارع الناقص+ نون التوكيد "فلا يكوننَّ ـ فلا يكوننَّ".
- اسم الفاعل + اسم تفضيل+ جار ومجرور "غائب أحب إليك ـ غائب أبغض إليك".

مع ملاحظة تكرار الصيغ بلفظها ـ أحيانًا ـ وبتغيير اللفظ ـ أحيانًا ـ أخرى؛ محدثًا في ذلك إيقاعًا موسيقيًا وتأثيرًا دلاليًا، كل ذلك أنتج محصلة نهائية دلالية هي الغاية في النص المطروح، فالتماثل والتخالف تقنيات دلالية جاءت لتعميق المعنى، مثال ذلك:

- الاستخدام الشرطي للحاجة الترتيبة الدلالية والاختلاف في الأداة ذاتها لمتطلبات الدلالة؛ استخدام "إذا" فيما يتوقع حدوثه من عمر "فإذا حفظت وصيتي فلا يكونَنَّ غائب أحبَّ إليك من الموت" واستخدام "إن" فيما يُشك في وقوعه من عمر "وإن ضيَّعت وصيَّتي، فلا يكونَنَّ غائب أبغض إليك من الموت".
- استخدام التضاد في "أحب" و"أبغض" مع ملاحظة تآخي التوافق الصيغي والتخالف الدلالي؛ مما أنتج إيقاعًا موسيقيًا وعمقًا دلاليًا.
- استخدام التغاير في "وهو آتيك" و"ولَسْتَ بمُعجز الله" فالأولى مثبتة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، والثانية منفية فعلية مكونة من فعل ناقص واسمه وخبره، مع تناسب معجمي للألفاظ في كل جملة وفق المقام إذ استخدام لفظ "ولست بمعجز الله" الدال على القوة والقدرة يتوافق مع دلالة العقاب لمن ترك اتباع الوصية، ودلالة البغض، وهذا يخالف دلالة الإتيان "وهو آتيك" التي قد يلمح منها دلالة الحب والقرب.

والجملة الثانية بكاملها جاءت معارضة للجملة الأولى؛ لذلك فإن دالة التوازي التركيبي هنا تسمى دالة التضاد.

٣. "قالوا: ومن أحبَّ أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحَّر في اللغة، فليقرأ كتاب كْارونَد(١). ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعِبر والمَثُلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك"(٢).

جاء القول في كتاب العصا، ومدار الحديث فيه حول الفصاحة والأدب، حمل المضمون جملتان شرطيتان؛ الأولى مكونة من: اسم شرط+ فعل الشرط فعل ماض+ فاعل ضمير مستتر+ أن المصدرية، فعل مضارع+ فاعل ضمير مستتر+ حرف جر واسم مجرور مضاف+ مضاف إليه+ حرف عطف+

(١) كتاب " كاروند كسروي" أي مقالات كسروي، من أشهر كتب الفرس.انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القفاري، ناصر ، ط٣(الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤٢٣هـ) ٢/ ٢٢٠ .

(٢) البيان والتبيين، ٣/ ٩.

فعل مضارع+ ضمير مستتر+ مفعول به+ حرف عطف+ فعل مضارع+ ضمير مستتر+ حرف جر واسم مجرور+ الفاء الرابطة+ جواب الشرط لام الأمر+ فعل مضارع+ فاعل ضمير مستتر+ مفعول به مضاف ومضاف إليه ".

الجملة الثانية مكونة من: اسم شرط+ فعل الشرط فعل ماض+ فاعل ضمير مستتر+ حرف جر واسم مجرور+ حرف عطف+ اسم معطوف+ حرف عطف+ اسم معطوف+ حرف جر واسم مجرور+ حرف عطف واسم معطوف+ حرف عطف+ اسم معطوف+ حرف عطف+ اسم معطوف+ حرف عطف+ اسم معطوف+ صفة+ حرف عطف+ صفة+ الفاء الرابطة+ جواب الشرط لام الأمر+ فعل مضارع+ فاعل ضمير مستتر+ حرف جر واسم مجرور مضاف+ مضاف إليه.

اعتمد التوازي التركيبي على البنى المتشابهة، إذ يُلحظ في جملتي الشرط اتحاد اسم الشرط وتعدد فعل الشرط وجوابه، وجاء التوازي فيه محققًا أنغامًا موسيقية، وتأكيدًا دلاليًا؛ ويمثُل هذا في التخالف والتماثل وشبههما؛ إذ يظهر التقطيع في تكرار الجملة الشرطية بفعلها وشرطها وجوابها، وفي تقطيع فعل الشرط بعناصره، وجواب الشرط بعناصره، مع تخالفهما ففي الأول جاءت جملًا فعلية، وفي الثاني جاءت أسماءً مع التخالف البسيط بينهما من أفعال متعدية ولازمة" يعرف الغريب، ويتبحر في اللغة "في فعل الشرط، وكذلك الحال في جواب الشرط حيث الأسماء المعطوفة" العقل والأدب، والعِبر والمَثُلات "والأسماء مع متعلقها الجار والمجرور" والعلم بالمراتب "، والصفات وموصوفها" الألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة "، هذا إضافة إلى التوافق الصيغي في استخدام صيغة الجمع" الألفاظ، المعاني "والصفات المشبهة" الكريمة، الشريفة ".

ويُلمح الاحتفاظ بالوظائف النحوية بدلالة كثرة استخدام حروف العطف، وقد أنتج هذا عمقًا دلاليًا يُلحظ في التالي:

- مناسبة استخدام" من الشرطية "للفاعل في المقام الدلالي الحالي؛ لدلالتها على العموم وتخطيها التوجيه لشخص معين.
- مناسبة" فليقرأ "في دلالة البلوغ في البلاغة واللغة ومعرفة الغريب، و" فلينظر "في سير الملوك:

فاللغة تحتاج التلقي، وسير الملوك تحتاج التأمل والتفكر، انظر إلى قوله تعالى: " فلينظر الإنسان مما خلق "[١]، وقوله تعالى: " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت "[٢].

- مناسبة استخدام الأفعال في المقام الدلالي الحالي مع المفعول به على النحو التالي:

يبلغ البلاغة ←——— ؛ حيث التآخي بين التوازي الصوتي" الجناس الناقص "والدلالي وإضفاء دلالة الوصول إلى الغاية في كل، مع دلالة العموم والخصوص.

يعرف ←——— الغريب.

يتبحر ←——— اللغة؛ وذلك وفق حاجة الإنسان إذ الغريب يكفيه المعرفة واللغة يناسبها التبحر.

أحب ←——— البلاغة

احتاج ←——— العلم والعقل والأدب؛ وذلك وفق حاجة الإنسان ما بين الحب والرغبة في مجال البلاغة، والحاجة في مجال العقل والأدب؛ فالعقل والعلم متقدمان على معرفة الغريب والتبحر في العلم.

- مناسبة الصفات لموصوفاتها؛ فالكريمة مع الألفاظ أي خيارها ونفائسها، والشريفة مع المعاني لما فيها من دلالة الإباء والرفعة.
- المد في" المثلات ـ المراتب "، ومناسبته مع دلالة العلياء كذلك الاتحاد بينهما في مجيئهما بدلالة الجمع.
- التنقلات الدلالية ما بين الخاص والعام" البلاغة، واللغة ".
- الاختلاف والاتفاق في" العبر والمثلات "، الاتفاق في المعنى وصيغة الجمع، والاختلاف في نوع الجمع ما بين جمع التكسير وجمع المؤنث السالم.

---

(١)سورة الطارق، آية: ٥.

(٢) سورة الغاشية، آية:١٧.

٤. "... إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به "[١].

جاء التركيب في سياق الحديث عن الزهد، وتكون من جملتين: الأولى، وفيها: أداة شرط غير جازمة(إذا)+ فعل الشرط(فعل ماض+ تاء الفاعل)+ مفعول به (اسم ظاهر) + حرف جر+ اسم مجرور+ الفاء الرابطة+ جواب الشرط(فعل أمر+ وفاعل مستتر+ ومفعول به ضمير+ جار ومجرور) أما الجملة الثانية ففيها: (أداة شرط غير جازمة+ فعل الشرط(فعل ماض+ تاء الفاعل)+ مفعول به(ضمير)+ حرف جر+ اسم مجرور+ الفاء الرابطة+ لا النافية+ جواب الشرط(فعل مضارع+ فاعل(ضمير)+ مفعول به(ضمير)+ جار ومجرور.

يلحظ التوازي التركيبي المعتمد على البنى المتشابهة مع تغاير في استخدام الإثبات في الجملة الأولى(نافسهم) والنفي في الجملة الثانية (لاتغبطهم)، وفي هذا التغاير توازي معجمي في الأسلوبين، إذ معنى نافسهم: " نافست في الشيء منافسة ونِفاسًا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم "[٢]، وتغبطهم بمعنى: " أن تتمنى مثل حال المَغْبوط من غير أن تريد زوالها "[٣]، فكلاهما يحمل تمني الحال والسرور، وجاء بالإثبات وبلفظ المنافسة مع الخير، وبالنفي أي نفي الغبطة مع الشر، وكأني ألمح لفت الانتباه في استخدام النفي بلفظ آخر(الغبطة) مع الشر، وفي ذلك عمق دلالي وتأثير تعبيري؛ واستخدام دالة التضاد هنا أسهمت في تماسك النص وإحكام نسيجه.

ويبرز التوازي التركيبي – أيضًا – في التالي:

- التناسب والانسجام في توزيع الكلمات داخل الجملتين، فجاءت منتظمة بتقسيم متوازن.
- تكرار الصيغ بذات اللفظ، مثل: الجار والمجرور(في الخير ـ في الشر).
- التكرار بالصيغة دون اللفظ، مثل: (به، فيه).
- وضع الصيغ ونَظْمها في الجمل بالمحل ذاته وبترتيب محلي متوافق مع شاكلتها.

---

(١) البيان والتبيين، ٣/ ٨٧.

(٢) لسان العرب، (نفس) ٦/ ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق، (غبط) ٧/ ٣٥٩.

الخاتمـــة

خلص البحث إلى النتائج التالية:

- مثُل التوازي التركيبي في البيان والتبيين تطبيقيًا بالأمثلة الواردة.
- جاء التوازي التركيبي في البيان والتبيين بنصوص من اختيارات الجاحظ، ونصوص من إنشائه.
- غاب مصطلح التوازي التركيبي نظريًا، وحضرت بعض المصطلحات التي يتطلبها، مثل: الازدواج، والسجع، والسبك، والتقسيم.
- تختلف صور التوازي التركيبي، حيث جاء في الجمل الاسمية، والفعلية، والشرطية.
- اختلف التركيب طولًا وقصرًا في الجمل جميعها.
- تتآلف المستويات أجمع في تحقيق التوازي التركيبي، وهي: التوازي الصوتي، والصرفي، والمعجمي، والنحوي، والدلالي.
- يأتي التوازي التركيبي في الجمل الاسمية بجمل مركبة مع جمل فعلية تارة، وبجمل مفردة بمقيدات الجمل الاسمية.
- يأتي التوازي في الجمل الفعلية في تنوّع فمرة مفردة، ومرة مركبة مع جمل اسمية.
- يأتي التوازي في الجمل الشرطية بأنماط مختلفة، فقد يكون باتحاد الأداة مرة واختلافها مرة أخرى، وكذلك الحال بالنسبة لفعل الشرط قد يكون واحدًا وقد يأتي متعددًا ومثله جواب الشرط.
- من أنواع التوازي التركيبي توازي البنى المتشابهة، وتوازي البنى المتغايرة.
- من دالات التواري التركيبي: دالات التضاد، والترادف، والتأليف أو التركيب.
- يكون التوازي بالاختلاف تارة، والاتفاق تارة أخرى.
- يكون التوازي في النغمة، وطول الجمل المتوالية، وتوزيع الألفاظ وفق مواقعها في التركيب.
- تنتظم الكلمات منسجمة في تقسيم جملي يحقق تواصلية مؤثرة بالتنغيم الموسيقي والتعميق الدلالي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأســلوب وطرائق العرض في أدب الجاحظ وأثره في أدباء العصــور اللاحقة إلى نهاية القرن الخامس عشر. المعفاس، هناء. مجلة جامعة كير يكالي للعلوم الإسلامية. ع٣٠، ٢٠١٨م.
- أوضــح المســالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشــام، عبدالله بن يوســف. تحقيق: محي الدين عبدالحميد. ط٤. بيروت: دار الجبل، ١٩٧٩م.
- الإيقاع الداخلي في رســالة التربيع والتدوير للجاحظ. أبو مراد، فتحي، وشــهوان. وفاء. مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية). م ٢٨(٨). ٢٠١٤م.
- البداية والنهاية. ابن كثير، إســماعيل الدمشــقي. تحقيق: علي شــيري. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
- البديع والتوازي. الشيخ، عبدالواحد حسن. ط١. القاهرة: مكتبة الإشعاع الفنية، ١٩٩٩م.
- بلاغة التوازي في السور المدنية. العربي، عبدالله. رسالة ماجستير. جامعة وهران ـ السانيا ـ الجزائر ـ ٢٠١٥م ـ
- البيان والتبيين. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. تحقيق: عبدالســلام هارون. ط١. القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠١٠.
- تاريخ بغداد. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. تحقيق: بشــار عواد. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- تراكيب الفنون النثرية في كتاب البيان والتبيين. دراسة في البناء النحوي. أبو الحسن، حسام فرج محمد. رسالة دكتوراه، جامعة جنوب الوادي ـ كلية الآداب بقنا ـ قسم اللغة العربية. ٢٠١٨م.
- التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية. مفتاح، محمد. د. ط. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.
- التوازي والبديع، آل الشيخ، حسن. ط١. مصر: مكتبة الإشعاع الفنية. ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

- التوازي ولغة الشعر. كنوني، محمد. مجلة فكر ونقد. السنة الثانية. ع ١٨. ١٩٩٩م.
- دراسات في النحو، الزعبلاوي، صلاح الدين، موقع اتحاد كتاب العرب.
- ديوان عبيد الأبرص. تحقيق: نصار، حسين. ط١. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٩٥٧م.
- رسائل الجاحظ، دراسة في شعرية النثر العربي. الغزي، محمود كاظم موات. رسالة دكتوراه. جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣م.
- الصناعتين، العسكري. أبو هلال الحسن بن عبدالله. تحقيق: علي محمد البجاوي. ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ
- العمدة، ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. ط٥. بيروت: دار الجبل، ١٩٨١م.
- فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ (دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص). عبدالله، مفلاح، مجلة لغة ـ كلام. ع٣. ٢٠١٦م.
- قضايا الشعر. ياكبسون، رومان، ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنور. ط١. الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨م
- لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. بيروت: دار صادر، د. ت.
- اللغة الشاعرة. العقاد، عباس. د. ط. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ٢٠١٢م.
- اللمع في العربية. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. تحقيق: فائز فارس. الكويت: دار الكتب الثقافية، ١٨٦٣م.
- مدخل إلى قراءة النص الشعري. مفتاح، محمد. مجلة فصول، مج١٦، ع١. ١٩٩٧م.
- المرتجل في شرح الجمل. ابن خشاب، عبدالله بن أحمد. تحقيق ودراسة: علي حيدر. دمشق: مركز النخب العلمية، ١٣٩٢هـ.
- المستوى الصوتي في رسائل الجاحظ". سلمان، سرحان جفات، وجفير. علي عبد المحسن.

مجلة القادسية. م١٥. ع ٢. ٢٠١٨م.

- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. القفاري، ناصر. ط٣. الرياض: دار طيبة للنشر. ١٤٢٣هـ.
- معجم الأدباء. الحموي، شـــهاب الدين. تحقيق: إحســـان عباس. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٤هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة. عمر، أحمد مختار. القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ. ـ٢٠٠٨م.
- معجم المصـــطلحات البلاغية وتطورها. مطلوب، أحمد. د. ط. بغداد: مطبعة المجمع العلمي بالقاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٦م.
- معجم المصـــطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة، مجدي، وكامل المهندس، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية المعاصرة. ط٣. القاهرة: مطابع دار الجمهورية، ٢٠٠٥م.
- مفتاح العلوم. السكاكي، يوسف. ضبط وتعليق: نعيم زرزور. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- مقاييس اللغة. ابن فارس، أحمد. تحقيق: عبدالســلام هارون. دمشــق: دار الفكر، ١٣١٩هـــ ـ ١٩٧٩م.
- مقدمة ابن خلدون. ابن خلدون، عبدالرحمن. ط٤. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. السجلماسي، أبو القاسم. تحقيق: إعلال الغازي. ط١. الرباط: مكتبة المعارف، ١٩٨٠م
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. الأنباري، أبو البركات كمال الدين. تحقيق: إبراهيم الســامرائي. ط٣. الأردن: مكتبة المنار. ١٤٠٥هـ
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي. ط١. بيروت: دار صادر، ١٩٠٠م.

فهرس الموضوعــات

المحتويات

الملخــص ١٣٩٥
مقدمــة ١٣٩٧
المبحث الأول: الدراسة النظرية ١٤٠٣
مفهوم التوازي ١٤٠٣
مفهوم التوازي التركيبي ١٤٠٨
أنواع التوازي التركيبي وأشكال تحليله ١٤٠٩
الجاحظ والتوازي التركيبي ١٤٠٩
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية ١٤١٥
التوازي التركيبي في البيان والتبيين ١٤١٥
أولاً- التوازي التركيبي في الجمل الاسمية ١٤١٥
ثانيًا - التوازي في الجمل الفعلية ١٤٢١
ثالثًا – التوازي في الجمل الشرطية ١٤٢٤
الخاتمــة ١٤٣١
المصادر والمراجع ١٤٣٢
فهرس الموضوعــات ١٤٣٥